

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المؤمن حذر يقظ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، جَعَلَ مِنْ عَنَاصِرِ الْإِيمَانِ الْإِيمَانَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ، وَجَعَلَ مِنَ الْكَيْسَةِ وَالْفِطْنَةِ أَخْذَ الْحَيْطَةِ وَالْحَذَرَ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ مِنَ الْحَمْدِ وَأُثْبِي عَلَيْهِ، وَأُؤْمِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، ذُو الطَّوْلِ وَالْإِنْعَامِ، كَرَّمَ بَنِي آدَمَ وَمَنَحَهُمُ الْعُقُولَ وَالْأَفْهَامَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدًا لِلَّهِ وَرَسُولُهُ، فَازَ وَنَجَا مَنْ تَمَسَّكَ بِهِدَاةِ، وَخَابَ وَخَسِرَ مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ وَعَصَاهُ، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١)، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ تَعَبَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ أَخْذَ الْحَيْطَةِ وَالْحَذَرَ سُلُوكٌ رَشِيدٌ، وَخُلُقٌ حَمِيدٌ، هُوَ بِالْمُؤْمِنِ لَصِيقٌ، بِهِ يَسْلَمُ مِنْ كُلِّ عِتَارٍ وَيَنْجُو مِنْ وَعْتَاءِ الطَّرِيقِ، لِهَذَا نَادَاكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِصِفَةِ الْإِيمَانِ وَحَتَّكُمْ عَلَى التَّحَلِّيِ بِهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ (٢)، فَلَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالَّذِي يُوَاجِهُ صُرُوفَ الْحَيَاةِ اتِّكَالًا عَلَى الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ، ذُونَ أَخْذِ الْأَسْبَابِ لِتَوَقِّيِ الْمَفَاجَاتِ وَدَرَاءِ الْخَطَرِ، لَقَدْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَجَرَتْ سُنَّتُهُ أَنْ يَرِبُطَ الْأَسْبَابَ بِالْمُسَبِّبَاتِ وَالنَّاتِجِ بِالْمُقَدَّمَاتِ، وَالْإِنْسَانَ مَسُوقًا إِلَى الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ بِمُقْتَضَى فِطْرَتِهِ، وَبِمُقْتَضَى تَكْلِيفِ اللَّهِ لَهُ، فَالْفِطْرَةُ مِنْ دَاخِلِ الْإِنْسَانِ تُنَادِيهِ أَنْ اطْرُقِ الْأَبْوَابَ وَبَاشِرِ الْأَسْبَابِ، ثُمَّ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ، وَمَنْ ثُمَّ كَانَ إِهْمَالُ الْأَسْبَابِ مُنَافِيًا لِلْفِطْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَمُخَالَفًا لِلْأَوْامِرِ الْإِلَهِيَّةِ. إِنَّ أَخْذَ الْحَيْطَةِ وَالْحَذَرَ هُوَ مَنْهَجُ الْمُؤْمِنِ فِي كُلِّ مَا يَأْتِي وَيَذُرُّ، فَلَا عَجَبَ أَنْ أَمَرَ

(١) سورة النور/ ٦٣.

(٢) سورة النساء/ ٧١.

اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ أَنْبِيَاءَهُ، وَحَلَّى بِهِ أَوْلِيَاءَهُ، فَعِنْدَمَا أَمَرَ اللَّهُ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنْ يَخْرُجَ بِقَوْمِهِ فِرَارًا مِنْ فِرْعَوْنَ وَبَطْشِهِ؛ حَثَّهُ عَلَى أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ ظِلْمَةِ اللَّيْلِ سِتَارًا، وَلَمْ يَدَعُهُ يَخْرُجُ فِي وَضَحِ النَّهَارِ؛ تَجَنُّبًا لَانْكَشَافِ أَمْرِهِ وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أخطارٍ، فَقَالَ لَهُ: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ (١)، وَحِينَ قَصَّ يُوسُفُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - رُؤْيَاهُ عَلَى أَبِيهِ يَعْقُوبَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حَثَّهُ أَبُوهُ عَلَى أَخْذِ الْحِيطَةِ وَالْحَذَرِ، فَحَذَرَهُ مِنْ أَنْ يَقْصَّ رُؤْيَاهُ عَلَى إِخْوَتِهِ؛ لِمَا قَدْ يَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ مَكَائِدٍ تُكَادُ لَهُ، فَلْيَأْخُذْ حِذْرَهُ، وَلْيَفُوضْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ أَمْرَهُ، وَاقْرَأُوا مَا جَاءَ فِي سُورَةِ يُوسُفَ: ﴿قَالَ يَبْنَئِي لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٢)، وَكَذَلِكَ كَانَ شَأْنُهُ حِينَ خَافَ عَلَى أَوْلَادِهِ أَنْ يُصَابُوا جَمِيعًا، فَأَمَرَهُمْ بِدُخُولِ مِصْرَ مِنْ عِدَّةِ أَبْوَابٍ، لَا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ، حَتَّى لَا يُصَابُوا مُجْتَمِعِينَ، قَالَ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ يَعْقُوبَ لِبَنِيهِ: ﴿يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ (٣)، وَفِي سِيرَةِ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - مَا يَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْمِيَّةِ اتِّخَاذِ الْحِيطَةِ الْبَالِغَةِ الَّتِي تَقْرِضُهَا الضَّرُورَاتُ لِلْوُصُولِ إِلَى الْهَدَفِ، وَعَدَمِ تَرْكِ الْأُمُورِ لِلْمُصَادَفَاتِ، فَقَدْ كَانَ مِنْ هَدْيِهِ ﷺ أَنَّهُ إِذَا عَزَمَ عَلَى إِنْجَازِ عَمَلٍ مَا اتَّخَذَ الْوَسَائِلَ الْمُتَقَنَّةَ لِإِنْجَاحِ الْعَمَلِ، مَعَ إِيمَانِهِ الْوَثِيقِ بِأَنَّ اللَّهَ سَيَمَهِّدُ لَهُ الطَّرِيقَ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ سَيُبَلِّغُهُ مَا أَرَادَ، وَلَكِنَّهُ تَعَلِيمٌ لَكُمْ وَإِرْشَادٌ. إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَأْخُذُ حِذْرَهُ وَيَطْرُقُ الْأَسْبَابَ؛ حَتَّى يَصِلَ إِلَى مَا يُرِيدُهُ مِنْ غَايَاتٍ، فَيَتَوَقَّى الْمُفَاجَاتِ وَيَتَجَنَّبُ الْمُعَوَّاتِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

خُذُوا مِنْ أَحْدَاثِ أَمْسِكُمْ عِظَةً وَعِبْرَةً لِيَوْمِكُمْ وَعَدِكُمْ؛ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ حَقًّا هُوَ الَّذِي يَعْتَبِرُ فِي التَّعَامُلِ مَعَ أَحْدَاثِ حَاضِرِهِ وَمُسْتَقْبَلِهِ بِحَوَادِثِ مَاضِيهِ، وَهُوَ إِنْ غَفَلَ مَرَّةً لَا يَغْفُلُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْمَرَّةِ، وَهَذَا مَا عَنَاهُ الرَّسُولُ ﷺ بِقَوْلِهِ: ((لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ))، لَقَدْ

(١) سورة الدخان / ٢٣.

(٢) سورة يوسف / ٥.

(٣) سورة يوسف / ٦٧.

أُصِيبَ يَعْقُوبُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِفَقْدِ ابْنِهِ يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حِينَ انْتَمَنَ أَوْلَادُهُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَأْتِمِنَهُمْ عَلَى أَخِيهِ تَذَكَّرَ مَا حَدَّثَ لِيُوسُفَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَ: ﴿ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ (١)، وَقَدْ أَنْحَى اللَّهُ بِاللَّائِمَةِ عَلَى قَوْمٍ يُخْتَبَرُونَ وَيُفْتَنُونَ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَعْتَبِرُونَ وَلَا يَتَذَكَّرُونَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَوْلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ ﴾ (٢)، وَلَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْنَا مَا حَدَّثَ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أُمِّ خَلَّتْ فِي أَرْمِنَةِ مَضَتْ، لَا لِمُجَرَّدِ سَرْدِ الْأَخْبَارِ، بَلْ لِلتَّعَاظِ وَالْإِعْتِبَارِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (٣)، فَالْعَاقِلُ اللَّيِّبُ، الْفَطْنُ الْأَرِيبُ، يَأْخُذُ مِنْ كُلِّ حَدَثٍ وَقَعَ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ عِبْرًا تَنْفَعُهُ، وَعِظَاتٍ تَسْمُو بِهِ وَتَرْفَعُهُ، وَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ الْيَوْمَ فِي شِدَّةٍ وَعَنَاءٍ فَمِنْ الْحَزْمِ وَالْكِيَاسَةِ أَنْ يَعْمَلَ مَا وَسِعَهُ الْعَمَلُ وَيَجْتَهِدَ مَا وَسِعَهُ الْاجْتِهَادُ عَلَى إِزَالَةِ الْأَسْبَابِ الَّتِي أَوْصَلَتْهُ إِلَى مَا هُوَ فِيهِ، وَبِذَلِكَ يُغَيِّرُ اللَّهُ حَالَهُ، فَإِذَا الْعَنَاءُ هَنَأَ، وَالشِّدَّةُ يُسِرُّ وَرَخَاءً. إِنَّ الشَّدَائِدَ مَهْمَا عَظُمَتْ، وَالْأَزْمَاتَ مَهْمَا اشْتَدَّتْ، وَالْكَرْبَاتَ مَهْمَا تَتَابَعَتْ، لَا يَجُوزُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ أَنْ يَسْتَكِينَ بِسَبَبِهَا الْإِنْسَانُ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَعْمَلَ جَاهِدًا عَلَى إِزَالَةِ أَسْبَابِهَا، وَعَلَيْهِ أَنْ يَحْذَرَ الْوُصُولَ إِلَى دَرَجَةِ الْقَنُوطِ وَالْيَأْسِ، وَعَلَى الْإِنْسَانِ أَيْضًا أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا حَدَّثَ لِغَيْرِهِ مِمَّنْ حَلَّتْ بِسَاحَتِهِمُ الشَّدَائِدُ أَكْثَرَ، وَوَقَعُوا فِي أَرْمَاتٍ أَشَدَّ وَأَخْطَرَ، فَصَبَرُوا عَلَى مَا حَلَّ بِهِمْ صَبْرًا مَقْرُونًا بِالْعَمَلِ الْجَادِّ عَلَى إِزَالَةِ مَا هُمْ فِيهِ، فَتَحَقَّقَ لَهُمْ مَا أَرَادُوهُ، وَأَخَذَ اللَّهُ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى مَا قَصَدُوهُ.

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ نِعْمَةَ الْإِيمَانِ، فَحَافِظُوا عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي أَمْتَنَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكُمْ لِعِظَمَتِهَا وَعُلُوِّ مَكَانَتِهَا فَقَالَ: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ بَلِ اللَّهُ

(١) سورة يوسف / ٦٤.

(٢) سورة التوبة / ١٢٦.

(٣) سورة يوسف / ١١١.

يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١﴾، وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى هَذِهِ النُّعْمَةِ يَكُونُ بِالْيَقَظَةِ وَالْحَذَرِ مِنْ أَنْ تَتَسَرَّبَ مِنَ الْقَلْبِ كَمَا يَتَسَرَّبُ الْمَاءُ مِنَ الْإِنَاءِ الْمَتْلُومِ، وَحَتَّى لَا يَحْدُثَ ذَلِكَ فَعَلَيْكُمْ أَنْ تُغْذُوا قُلُوبَكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ وَأَدَاءِ مَا أَمَرَ اللَّهُ، وَبِذَلِكَ تَأْمَنُونَ الشَّيْطَانَ وَتَحْذَرُونَهُ، وَتُؤْمِنُونَ الْقَلْبَ وَتُحَصِّنُونَهُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ الَّذِي بَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ عِدَاوَتَهُ وَحَذَرَكُمْ مِنْهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَهْجُمَ عَلَى قَلْبِ ذَاكِرِ اللَّهِ وَمُسْتَعِيزٍ بِهِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (٢)، وَقَدْ حَذَرَكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الشَّيْطَانِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ (٣)، وَمِنْ وَسَائِلِ التَّغْلِبِ عَلَى نَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ الْمُسَارَعَةُ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَالْمُسَابَقَةُ إِلَى عَمَلِ الطَّاعَاتِ. وَمِمَّا يَجِبُ الْحَذَرُ مِنْهُ الْآفَاتُ الَّتِي تُصِيبُ الْعَمَلَ الصَّالِحَ وَتُحْبِطُهُ، وَمِنْ أخطرِهَا الْعُجْبُ وَالرِّيَاءُ، فَكَمْ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ أُعْجِبَ بِهِ صَاحِبُهُ حَتَّى وَصَلَ إِلَى دَرَجَةِ الْمُبَاهَاةِ جَعَلَهُ اللَّهُ هَبَاءً مَنْثُورًا، كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكَورًا، فَالْمُعْجَبُ بِعَمَلِهِ، الْمَدْلُ بِطَاعَتِهِ، هُوَ إِلَى مَقْتِ اللَّهِ أَقْرَبُ مِنْ رِضَاهُ، وَلَيْسَ أَقْلَ خَطَرًا مِنْ ذَلِكَ الرِّيَاءِ، فَالرِّيَاءُ يُصِيبُ الْعَمَلَ فَيُدْمِرُهُ تَدْمِيرًا، مَهْمَا رَأَاهُ صَاحِبُهُ عَظِيمًا كَثِيرًا، إِنَّ الرِّيَاءَ يُحْبِطُ الْعَمَلَ وَيُيْطِلُهُ وَيُفْسِدُهُ، لِذَلِكَ حَذَرْنَا اللَّهُ مِنْهُ وَنَبَّهَ الْمُؤْمِنَ عَلَى ذَلِكَ وَأَرشَدَهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صِدْقَتَكُمْ بِالْمِنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ (٤)، وَكَمَا حَذَرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مِنَ الرِّيَاءِ حَذَرَ مِنْهُ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ فَقَالَ: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ: إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَمَا شِرْكَ السَّرَائِرِ؟ قَالَ: يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّيَ فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ جَاهِدًا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكَ السَّرَائِرِ)).

(١) سورة الحجرات / ١٧.

(٢) سورة الأعراف / ٢٠٠-٢٠١.

(٣) سورة فاطر / ٦.

(٤) سورة البقرة / ٢٦٤.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَدَاوِمُوا عَلَى الطَّاعَةِ وَاحْذَرُوا المَعَاصِيَ، وَاجْعَلُوا قُلُوبَكُمْ بِقِظَةً بِذِكْرِ اللَّهِ وَاحْذَرُوا الغَفْلَةَ، وَدَاوِمُوا عَلَى هَذَا الدُّعَاءِ الَّذِي كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَدْعُو بِهِ: ((اللَّهُمَّ مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ، اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ))، وَاحْذَرِ ثُمَّ الحَذَرَ مِنْ أَعْمَالٍ تَصْدُرُ مِنْكُمْ، أَوْ أَقْوَالٍ تَتَطَّقُ بِهَا أَلْسِنَتُكُمْ؛ يُسَاءُ بِسَبَبِهَا الظَّنُّ بِكُمْ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ العَظِيمَ لِي وَلكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** **

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلِي الصَّالِحِينَ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ إِمَامُ الأنبياءِ وَالمُرْسَلِينَ، وَأَفْضَلُ خَلْقِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ الحَذَرَ فِي الأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ مَطْلُوبٌ كَمَا هُوَ فِي الأُمُورِ الدِّينِيَّةِ، وَلَقَدْ حَذَرَ الإِسْلَامُ مِنَ التَّهَاوُنِ فِي شَأْنِ النَّفْسِ وَالمَالِ؛ لِأَنَّهَا مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ الَّتِي يَجِبُ الحِفَاظُ عَلَيْهَا، وَلَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَةٍ أَصْبَحْتُمْ لَا تَسْتَغْنُونَ عَنْهَا، تِلْكَ هِيَ السَّيَّارَاتُ، وَكَمَا أَنَّ لَهَا فَوَائِدَ مُهِمَّةً لَهَا كَذَلِكَ أَضْرَارٌ جَمَّةٌ، ففَوَائِدُهَا تَكْمُنُ فِي حُسْنِ اسْتِعْمَالِهَا، وَأَضْرَارُهَا تَكْمُنُ فِي سَوْءِ اسْتِعْمَالِهَا، فَلنَتَعَامَلْ مَعَ هَذِهِ النِّعْمَةِ بِتَوَدَّةٍ وَرَفَقٍ، وَلنَجْعَلْهَا أَدَاةَ تَعْمِيرٍ، لَا وَسِيلَةَ تَدْمِيرٍ، وَذَلِكَ يَتَحَقَّقُ وَاقِعًا مَلْمُوسًا حِينَ نَأْخُذُ حِذْرَنَا مِنْ أخطائنا وَأخطاءِ الآخَرِينَ، فَقَدْ يَقُودُ المَرْءُ سَيَّارَتَهُ بِانضِبَاطٍ وَيُشْكِرُ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ خَطَأً غَيْرَهُ يَجْرُ المَاسِي وَالآلامَ إِلَيْهِ، فَلنَكُنْ حَذَرِينَ مِنْ أخطاءِ الآخَرِينَ. وَللحِفَاظِ عَلَى النَّفْسِ وَالمَالِ حَذْرَنَا الإِسْلَامُ مِنَ الإِهْمَالِ، وَمِنَ الإِهْمَالِ عَدَمُ أَخْذِ الحِيطَةِ وَالحَذَرِ حِينَ يَتَعَلَّقُ الأَمْرُ بِالنَّارِ، فَكَمْ مِنْ شَرَارَةٍ

صَغِيرَةٌ تَسَبَّبَتْ فِي حَرَائِقَ كَبِيرَةٍ، وَمَصَائِبَ كَثِيرَةٍ، "وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرِّ"، وَالْمَطْلُوبُ هُوَ التَّعَامُلُ مَعَ النَّارِ بِحَذَرٍ، فَإِذَا أَتَيْنَا بِمَجْمَرَةٍ دَاخِلِ الدَّارِ، فَعَلَيْنَا أَلَّا نُغْلِ عَنَهَا الْأَبْصَارَ؛ حَتَّى لَا يَتَطَايَرِ الشَّرُّ، فَتَقَعَ الْمَأْسَاءُ وَيَحْدُثَ الْخَطَرُ، وَالتَّعَامُلُ مَعَ الْكَهْرَبَاءِ يَتَطَلَّبُ أَيْضًا الْحَيْطَةَ وَالْحَذَرَ؛ فَكَمْ مِنْ مَصَانِعِ ضَيْرَتٍ، وَبُيُوتِ دُمْرَتٍ، وَأَمْوَالٍ تَبَدَّدَتْ، وَرُبَّمَا أَرْوَاحٌ أزهقت بسبب سوء استعمال الكهْرَبَاءِ، وَعَدَمِ الْحَذَرِ مِنْ أخطارها، وَالاستِهَانَةِ بِأضرارها، وَمِمَّا يَلْزِمُ الْحَذَرَ مِنْهُ دُخُولُ الْبَحْرِ دُونَ ضَرُورَةٍ، خُصُوصًا أَطْفَالَنَا وَقِلْدَاتِ أَكْبَادِنَا، فَإِنْ أَرَادُوا دُخُولَ الْبَحْرِ فَلَنُكُنْ حَذَرِينَ فَإِنَّ الْبَحْرَ غَدَارٌ، فَكَمْ حَدَثَ فِيهِ بِسَبَبِ التَّهَوُّرِ مَصَائِبٌ وَأَضْرَارٌ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ رَحِيمًا بِكُمْ وَبِأَوْلَادِكُمْ - كَمَا هُوَ شَأْنُهُ الْمُسْتَمِرُّ وَخُلُقُهُ الدَّائِمُ - حِينَ قَالَ: ((أَطْفِنُوا الْمَصَابِيحَ بِاللَّيْلِ إِذَا رَقَدْتُمْ، وَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ، وَأَوْكِنُوا الْأَسْقِيَةَ، وَخَمَرُوا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ، وَكَفُوا صَبِيَانَكُمْ عِنْدَ الْمَسَاءِ)) أَيِ امْنَعُوهُمْ مِنَ الْخُرُوجِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ حِفَظًا عَلَيْهِمْ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَخَذَ الْحَذَرَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ أَمْرٌ طَيِّبٌ وَتَصَرَّفٌ مَشْكُورٌ، أَلَّا فَحَافِظُوا عَلَى أَرْوَاحِكُمْ وَمَمْتَلِكَاتِكُمْ، وَقَدِّرُوا مَسْئُولِيَّاتِكُمْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكُمْ. هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلًا عَلِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَن خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَن أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَن سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَن الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَقَرُّفَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَقَرُّفًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَىٰ وَالتَّقَىٰ وَالعَفَافَ وَالعَنَىٰ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلًّا مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيبًا، وَعَمَلًا صَالِحًا زَاكِيًّا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِينًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ اعْزِزْ الْإِسْلَامَ وَالمُسْلِمِينَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَاعْزِزْ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِينَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثَمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ. رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ، وَالمُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالأِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي القُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْيِ ﴾
يَعْظُمُ لِعَلَّكُمْ تَذَكُّرُونَ ﴿